المحاضرة الثالثة في مقياس ما قبل التاريخ

العلوم المساعدة لما قبل التاريخ

تمهيد:

لا شك أن ما قبل التاريخ مثله مثل بعض العلوم الإنسانية تتطلب دراسته والعناية به الاستناد على جملة من العلوم المساعدة التي لا يقوم إلا بها؛ وذلك حتى يكون قريب من الأفهام وتدفع عنه الأمور الغامضة لتمكين الطلبة والدارسين من اتقان فصوله وجزئياته ومن تلك العلوم المساعدة نذكر البعض منها فيما يلي:

1_ علم الآثار:

من الأهمية بمكان أن نتعرف على علم الآثار الذي يقوم على دراسة مخلفات الحضارات البائدة من حيث نشأتها وتطورها ثم أفولها ومحو معالمها نتيجة عوامل طبيعية يضاف إليها العامل البشري. فلقد كان علم الآثار (archéologie) علم دراسة الأشياء القديمة رافدا مهما ومصدرا لا ينبغي تجاوزه في دراسة مرحلة ما قبل التاريخ. فالآثار الحسية الملموسة التي خلفها الإنسان القديم من أدوات ووسائل حجرية كانت من مستلزمات الحياة اليومية التي لا يستغنى عنها في القنص والصيد من مختلف الأحجام والأنواع باتت بهذا المفهوم بالنسبة للباحثين مواد خام ووثائق قيمة تحوز العديد من المزايا التاريخية يتم معالجتها في المواقع الأثرية وحتى في المخابر، ثم تحلل لاستخراج ما يمكنه استخراجه من معلومات ثرية عن طبيعة الحياة وسلوكيات الإنسان وتقاليده في وسط جغرافي وطبيعي معين أثناء فترات زمنية متراوحة في القدم بين الأزمنة والعصور الحجرية التي عاشها الإنسان. فيحاول الباحث استقراء تلك المعلومات وبناء وتصور ما كانت عليه تلك البيئات الغابرة من حياة مستقرة أو مضطربة عرفتها السلالات البشرية في مواطن وجود الإنسان في القارات الخمس على حد سواء.

2_ الأنثروبولوجيا:

اختلفت أراء الباحثين حول تحديد مفهوم علم الأنثروبولوجيا لعدة اعتبارات كون المصطلح

(anthropologie) عرف مفاهيم متنوعة منها أنه يدل على علم أجناس الشعوب القديمة الذي يبحث في طبائع الإنسان وأحواله الجسمانية والبيولوجية، زيادة على مورفولوجيا الحضارات البائدة. وهناك من يرى بأن الأنثروبولوجيا من العلوم القائمة بذاتها والتي تسعى فيما تسعى إلى دراسة السلالات البشرية بمختلف مكوناتها عبر الأزمنة والعصور وتوصيف مظاهرها الحياتية توصيفا دقيقا ثم

تصنيفها بغية تحديد أنماطها ومميزاتها وهي بهذا المفهوم تقدم للباحث في ما قبل التاريخ معطيات تمكنه على كل حال في تفسير كنه استقرار نموذج بشري في بيئة ما من القارات الخمس. ولا شك أن الأنثروبولوجيا متعلقة بدراسة الإنسان من مختلف النواحي بما فيها الجانب الثقافي والعقدي.

3_ الباليونتولوجيا:

وهو علم دراسة الكائنات القديمة الأدمية والحيوانية منها، التي عاشت في الأزمنة الجيولوجية المختلفة. والباليونتولوجيا (paléontologie) من العلوم المساعدة لما قبل التاريخ، وتكمن أهميته في الكشف عن نشأة الإنسان وتشريحه وتتبع تطوره عبر الأزمنة التي عاش فيها، علاوة على الحيوان من مثل الماموث (mammouth)، ووحيد القرن (rhinocéros)، والفيلة القديمة (- eléphas antiquus)[1] التي جايلت ذلك الإنسان في وسط جغرافي واحد وهذا بطبيعة الحال يقدم معلومات لا يستغنى عنها لمعرفة أفكاره منعكسة على مخلفاته المادية ومدى تطوره على الأقل من الناحية الصناعية وابتكاره لأدوات دون أخرى[2]. ومن العلماء المبرزين المهتمين بهذا الحقل المعرفي الخصب الأستاذ الفرنسي هنري دولملي وزوجته اللذين يبحثان في الجنوب الفرنسي وخاصة في مغارة لاسكو.

4_ العلوم المساعدة الأخرى:

هناك العديد من العلوم المساعدة الأخرى التي لا يستقيم ما قبل التاريخ إلا بها ومنها علم التنميط الذي يدرس أنماط ونماذج الأدوات الحجرية ويصنفها حسب الشكل أو الوظيفة التي تؤديها؛ فمثلا ذات الوجهين الشبيهة بحبة اللوز يتم دراسة أعداد متشابهة منها في مناطق مختلفة من العالم ويتم توصيفها لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف في كل مكان وما هي العلاقة التي تربطها بعضها ببعض وهكذا شكلا ووظيفة كما ذكرنا قبل حين مع مثلها من الأدوات وهكذا مع المكاشط، و المقاطع والفؤوس وغيرها المنتشرة في جميع المواقع الأثرية التي تعود إلى ما قبل التاريخ. وهناك الكثير من العلوم التي لم نشر إليها حتى لا نثقل كاهل الطالب بها وهي موجودة ومذكورة في المراجع التي وجهنا طلبتنا إليها خلال الدروس الحضورية.

---

1 _ A. Rutot, **« un peu de paléontologie »**, Bulletin de la société préhistorique française, année 1907, p, 124.
2 _ Jean Jaques Hublin, **« les hominidés fossiles du pléistocène »,** actes des congrès nationaux des sociétés historiques et scientifiques, année 2003., p, 11.